Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنها ما يربط بين لفظتين: الشمس/القمر، جُلّنار/الآس، الصحة/القوة. ومنها ما يربط بين ثلاث لفظات: القسى/الأسهم/ الأوتار. ومنها ما يربط بين أربع لفظات: السيل/الحيا/البحر/كف تميم.

ولنلحظ فى المتناظرات أو المصاحبات الأخيرة، رجوع تصاحب الثلاثة الأولى إلى كون (السيول أصلها المطر، والمطر أصله البحر على ما يقال) فعلى أى أساس أدرج معها (كف تميم)؟ بالتأكيد لم يدرج على أساس المعنى المعجمى المباشر أو المنصوص عليه فى المعجم اللغوى، وإنما أدرج على أساس لازم معناه أو ما يوحى به، وهو (الكرم)، والسيول والحيا والمطر ألفاظ معبرة أو يُعَبَّر بها عن (الكرم)، وعلى هذا تتصاحب مع هذه الألفاظ الأربعة، لفظة (الندى) الواردة فى البيت الأول؛ وعلى هذا لا تنحصر وظيفة السبك المعجمى التى تؤديها (مراعاة النظير) على البيت الواحد. كما أنه كلما ازداد عدد المتناظرات أو المتصاحبات، ازدادت احتمالية تغطيتها لأجزاء عديدة من النص؛ ومن ثم المساحة التى تُحْدِث فيها (مراعاة النظير) سبكاً.

كما أن هناك أمراً مهماً يجب الالتفات إليه، وهو أن تحديد التناظر بين لفظتين أو أكثر، هو أمر نسبى يختلف باختلاف الزمان والمكان والشعب وحضارته وثقافته وتاريخه وعقيدته، وإلا كيف يتسنى لنا ـ مثلا ـ فهم أن [illegible] التصاحب الدائم بين الشمس والمرأة والغزال فى الشعر الجاهلى؟[٩٥] وهذا يؤكد أهمية البعد المقامى حين التعامل مع النص.

ولعل وعياً ببعض هذا البعد، نجده عند ابن معصوم حين وقف أمام قول أبى الطيب:

فالعُرْبُ منه مع الكُدْرِيِّ طائرةٌ والرُّومُ طائرةٌ منه مع الحَجَلِ

حيث قال: فإن الكدرى وهو ضرب من القطا من طير السهل، والعرب بلادها السهل فقارن بينهما لمكان هذه الملائمة الدقيقة، والحجل من طير الجبل، والروم بلادها الجبل فقارن بينهما لهذا التناسب الدقيق»[٩٦]

(٤ ـ ٣)

وثمة فنان بديعيان يعتمدان ـ أحياناً ـ على ظاهرة (المصاحبة المعجمية)، وهما فنا التوشيح والتسهيم (أو الإرصاد). وبداية نثبت أنهما فى البلاغة العربية متداخلان، بشكل يصعب الفصل بينهما؛ حتى أن بعض البلاغيين العرب أدرجهما تحت اسم واحد، بل منهم من أدرج معهما شواهد فن (رد العجز على الصدر)، ومن هؤلاء ابن رشيق القيروانى والقزوينى[٩٧]